تمثلات المواطن التونسي لأثر السلوكيات البيئية

للمهاجرين الأفارقة بالبلاد التونسية

مقاربة سوسولوجية - أنثربولوجية للبيئة

**Tunisian citizens' perceptions of the impact of
African immigrants' environmental behaviors in
Tunisia A sociological- anthropological approach
to the environnement**

د/ حاتم الميلوشي.

دكتور وأستاذ باحث مختصّ

في علم الاجتماع بجامعة قابس (تونس)

DOI:10.21608/fjssj.2025.366211.1298 Url:https://fjssj.journals.ekb.eg/article_442693.html

تاريخ إستلام البحث: ٢٠٢٥/٦/١٥ م تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٧/١٥ م تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٧/٣٠ م
توثيق البحث: الميلوشي، حاتم (٢٠٢٥). تمثلات المواطن التونسي لأثر السلوكيات البيئية للمهاجرين الأفارقة بالبلاد التونسية
مقاربة سوسولوجية - أنثربولوجية للبيئة، مجلة مستقبل العلوم الإجتماعية، ع. ٢٢، ج. (٧)، ص-ص: ٣-٢٦.

٢٠٢٥ م

FSSJ

مجلة مستقبل العلوم الإجتماعية
Future of Social Sciences Journal

العدد: السابع يوليو ٢٠٢٥ م.

المجلد: الثاني والعشرون.

تمثلات المواطن التونسي لأثر السلوكيات البيئية للمهاجرين الأفارقة بالبلاد التونسية
مقاربة سوسولوجية - أنثروبولوجية للبيئة

المستخلص:

مع توافد أعداد كبيرة من المهاجرين على المدن التونسية بدأت تركيبة المجتمع التونسي تشهد تحولات مجتمعية عميقة طالت تمثلات المواطن التونسي ونظراته لسلوكيات الآخر. هذه النظرة التقييمية للمختلف والوافد الجديد. حدّدت طبيعة علاقة التونسي بالمهاجرين الأفارقة والتي قد تبدو علاقة فائرة بعض الشيء. وقد يغيب عنها التفاعل ونراها متأرجحة بين القبول والرفض والاستهجان وقد تصل العلاقة الى حد العداوة وردّ الفعل. وقد يمثّل الشأن البيئي أحد المواضيع الحارقة التي تمسّ التونسي وتحركه للدفاع بشراسة عن بيئته المحلية. وقد يعتبرها خطأ أحمر لا يمكن تجاوزه أو النيل منه. خاصة في ظلّ استهتار الجميع وتجاوزات بيئية خطيرة تهدّد حياة الأفراد والسلم الاجتماعي ككل. ضمن هذا الإطار تمثّل هذه الدراسة مقاربة سوسولوجية - أنثروبولوجية محاولة لرصد تمثلات المواطن التونسي لأثر السلوكيات البيئية للمهاجرين. وقد تساعدنا مقاربة في سوسولوجيا البيئة واعية بأهمية البعد التواصلي والاجتماعي لمفهوم التمثلات الاجتماعية في خلق أرضية تفاهم وانسجام مع المهاجر الافريقي. -على الأقل على المستوى البيئي- قد تكون مدخلا جيّدا لاستيعاب الآخر وقبوله تحصيلنا لذواتنا من التناظر والتطاحن والاقصاء.

الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية، البيئة، التفاعل، مقاربة سوسولوجية، أنثروبولوجية.

Tunisian citizens' perceptions of the impact of African immigrants' environmental behaviors in Tunisia A sociological- anthropological approach to the environment

Abstract:

With the influx of large numbers of migrants into Tunisian cities, the composition of Tunisian society has begun to witness profound social transformations that have affected the representations of the Tunisian citizen and their views on the behaviors of others. This evaluative perspective on the different and the newcomer has defined the nature of the relationship between Tunisians and African migrants, which may seem somewhat lukewarm. Interaction may be lacking, and the relationship appears to oscillate between acceptance, rejection, and disapproval, potentially reaching the point of hostility and reaction. Environmental issues represent one of the pressing topics that concern Tunisians and drive them to fiercely defend their local environment. They may consider it a red line that cannot be crossed or compromised, especially in light of widespread negligence and serious environmental violations that threaten individual lives and social peace as a whole. In this context, this study represents a sociological-anthropological

approach attempting to capture the representations of the Tunisian citizen regarding the environmental behaviors of migrants. An approach in environmental sociology that is aware of the importance of the communicative and social dimension of the concept of social representations may create a ground for understanding and harmony with African migrants—at least on the environmental level—potentially serving as a good entry point for accepting the other and protecting ourselves from discord, conflict, and exclusion.

Keywords: social representations, environment, interaction, sociological approach, anthropological approach

- مقدمة:

تتسم نظرة المواطن التونسي للمهاجر بالاختلاف والتعدد. وتختلف هذه النظرة من فرد الى اخر ومن منطقة الى أخرى ومن مجتمع الى اخر ومن بيئة الى أخرى. وفي واقع الأمر هذه العلاقة تحدها عدة عوامل وأسباب منها ما هو شخصي ومنها ما هو مجتمعي ومنها ما هو سياسي قوانين البلاد وخياراتها في التعامل مع الوافدين على الوطن بطريقة شرعية أو بطريقة غير قانونية ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو انساني...وقد يكون البعد البيئي محددًا نظراً لتهديده حياة الافراد فيصبحون عدائين تجاه من يحاول العبث بمستقبلهم ومستقبل الأجيال القادمة. ومن شأن عدم وعي المهاجر بخطورة ممارساته غير الصديقة للبيئة في تأجيج الاحتقان الاجتماعي وتقلب العلاقة مع الآخر عدائية-اقصائية.

فكيف ننجح في تغيير وتعديل السلوكيات البيئية للمهاجر؟ هل الوعي بمقاربة التمثلات الاجتماعية-البيئية يمكن أن يكون فعالاً في خلق أرضية للتقاهم؟ هل وعي التونسي والمهاجر بضرورة تغيير تمثلاته يساعده في تقبل سلوكيات الآخر والتواصل معه؟

- اشكالية البحث:

يطرح البحث اشكالية في أثر وصدى السلوكيات البيئية للمهاجرين ودورها في تشكيل التمثلات الاجتماعية للمواطن التونسي. وتتمثل طرافة هذه المقاربة في محاولة ربط التساؤلات والقضايا السوسولوجية بالسلوك الانساني في ديناميكته الاجتماعية وفي أدق تعقيداته لاسيما علاقته الجدلية التفاعلية والتبادلية مع مفهوم التمثلات الاجتماعية للأفراد. ويتناول المبحث مختلف التعريفات والتصنيفات السوسولوجية لمفهوم التمثلات لدى ثلة من الباحثين المختصين في المجال على غرار سارج موسكوفيتشي ودينيس جودلي...وتحاول الراسة من خلال هذه التعريفات فهم طبيعة العلاقة بين التمثلات والسلوك من جهة. وكيفية التأثير فيه وتعديله من جهة أخرى.

- **أهداف البحث:** يهدف البحث الى ايجاد تفسيرات سوسولوجية-علمية لسلوكيات الأفراد المهاجرين في ديناميكيتها الاجتماعية ومحاولة فهمها وتعديلها من خلال توظيف مفهوم التمثلات الاجتماعية في دراسة وفهم الظواهر الاجتماعية المتفاعلة ومحاولة ربط التمثلات الاجتماعية بالسلوك البيئي للمهاجر.

- **دواعي البحث:** عديدة الدواعي التي حفزتنا لدراسة السلوك البيئي للمهاجرين وعلاقتها بالتمثلات الاجتماعية ودورها في فهم سلوكيات المهاجرين من خلال دراسة مختلف المقاربات السوسولوجية المهمة بمفهوم التمثلات للحصول على رؤية شاملة تساعدنا في التعمق في هذا المجال البحثي لاسيما دوره في دراسة الظواهر الاجتماعية والعديد من القضايا التنموية والبيئية.

- **شبكة المفاهيم:**

١- التمثلات الاجتماعية: تعريفها ووظائفها:

١-١- تعريف التمثلات الاجتماعية:

ننطلق في تعريفنا لمفهوم التمثلات من مقارنة رائد الفكر السوسولوجي الوضعي اميل دوركايم، ويرى أنها " تصورات اجتماعية تتأسس على شكل قيم ومعايير للسلوك والذوق والقول. وهي تتغير بتغيير الحياة الاجتماعية". والتمثل نشاط إبداعي ينطلق فيه الفرد من مجموعة من المعارف والتجارب التي تقوم بإعادة بنائها وتحويلها إلى موضوع ذهني، وهو ما يعني أن تمثلاتنا ليست مطابقة للواقع، بل هي خاضعة لتأويلاتنا الخاصة. لقد جعل دوركايم من التمثلات ظاهرة مختلفة عن بقية الظواهر، ولها أسبابها التي تؤدي إلى بروزها. وقد ربط إميل دوركايم التمثلات، بالخاصية النفسية التي لها دور كبير في ظهورها. وفي هذا المجال يقول "الكل يدل على أنّ الحياة النفسية هي دروس متواصلة من التمثلات، ولا نستطيع القول من أين تبدأ أو أين تنتهي". كما يربط دوركايم بين التمثل والوعي، على أنهما متلازمان. فلا يمكن تعريف الأول إلا في ظل وجود الثاني. وبالتالي لا يمكننا تصوّر أي تمثّل بدون وعي. ويوضح دوركايم أن مصدر هذه التمثلات هي العلاقات التي تنشأ بين الأفراد بطريقة منظمة، أو بين الجماعات الثانوية، التي تتدخل بين الفرد والمجتمع. ويُميز هنا بين نوعين من التمثلات: التمثلات الفردية وهي ضمير كل واحد. والتمثلات الجماعية هي المجتمع في كليته. فالأولى ليست محددة للثانية لكن أصلها، وتتوافق مع طريقة هذا الكائن الخاص الذي هو المجتمع ويرى الأشياء بتجربته الخاصة، (Moscovici (S) (p.64). إن التمثلات الجماعية حسب دوركايم هي أكثر استقرارا من التمثلات الفردية خاصة عندما درس بعض الظواهر الاجتماعية مثل الدين، الانتحار وغيرها. (Durkheim, 1991, p.403). (E), إذن فالتمثلات حسب المفهوم الدوركايمي هي " طبقة واسعة من الأشكال الذهنية: العلوم،

الديانات الأساطير، الفضاء، الوقت الأفكار والمعارف). وبدون تمييز، فهي مشتركة، ويعاد إنتاجها بطريقة اجتماعية. وهي متنقلة بين الأجيال وتمارس قهرا على الأفراد. ومن خلال ذلك، تمكّن دوركايم ومدرسته، من وضع تحليل لمختلف الميادين الاجتماعية، من خلال الارتكاز على الفرضية التالية: وهي، أنه يمكننا تفسير الظواهر انطلاقا من التمثلات والأفعال. (Moscovici (S), p.66) فالتمثلات والأفعال شيان مرتبطان ومتلازمان وغالبا ما تسبق التمثلات الأفعال والتمثلات مستمدة من الثقافة وأشكال الوعي الاجتماعي. إن مفهوم التمثلات الاجتماعية حديث النشأة، بحيث يركز على أعمال عالم النفس الاجتماعي سارج موسكوفيتشي Serge Moxovici منذ سنة ١٩٦١ في كتابه الشهير تحت عنوان: " التحليل الاجتماعي" جمهوره وصورته". (Bloch (H) et autres, 1993, p.667) وهذه الفكرة تشير إلى ظواهر متعددة تلك التي نلاحظها وندرسها على مستويات معقدة فردية وجماعية، سيكولوجية واجتماعية متنوعة. وهي بذلك وحدة اقتراب جديدة خصبة بالنسبة لعلم النفس الاجتماعي، واعدة بالنسبة للعلوم الاجتماعية الأخرى،(Jodelet (Denis), p.4) وخاصة علم الاجتماع أين بدأت تظهر بعض المحاولات.

١-٢- وظائف التمثلات الاجتماعية: للتمثلات الاجتماعية عدة وظائف منها وظيفية لتحديد هوية الجماعة ومساهمتها في إدراكها لذاتها ووحدتها، وإدراكها للجماعات الأخرى التي هي في تفاعل مستمر معها. فالتمثلات في هذه الحالة تعمل على حماية خصوصية الجماعة ووحدتها مقارنة بالجماعات الأخرى. كما يعتبر موسكوفيتشي أن للتمثلات عدة وظائف أهمها، أنها تتيح للأفراد القدرة على تنظيم وترتيب الإدراكات، ليتمكنوا من توجيه تصرفاتهم داخل المحيط. كما لها القدرة على وضع الضوابط مع أفراد الجماعة بهدف التحكم بها، مُشكلة بذلك نظاما للتوقعات والانتظارات، مُبرمجة مُسبقا أشكال العلاقات بين الأفراد والجماعات (Abric J-C, 1994, p.17),

٢- التمثلات من وجهة نظر علم الاجتماع: لقد تجسدت نظرة علم الاجتماع للتمثلات، من خلال مفهوم "التمثلات الجماعية Représentations collectives" الذي طرحه دوركايم Durkheim منذ أكثر من قرن. فيما أن الجماعة الاجتماعية تمثل الوحدة القاعدية لهذا العلم، فقد تم إعتبار التمثلات الجماعية أشكالا عقلية مجتمعة، لها ديمومة تستمر لأجيال. فبالرغم من اعتراف دوركايم بالتمثلات الفردية، فقد رأى بأن دورها في التمثلات الجماعية يبقى سلبيًا. فهي "غير ذات أهمية كبيرة، لأنها محدودة في الزمن، وتخفت باختفاء صاحبها، ولأنها لا تعكس جيدا التصورات الجماعية التي تخضع لقوانين جماعية مختلفة". (Roussiau N., Bonardi C, 1999, p.10) ويرى دوركايم أن الجماعة ليست مجرد حاصل لمجموع الأفراد الذين يكونونها، بل كيان مستقل كامل الأوجه. ولهذا، يجب دراستها انطلاقا من هذا

الأساس. وبالتالي، يرى أن "التصورات الجماعية خارجة عن وعي الأفراد... فهي لا تنبثق عن أفراد مأخوذين بشكل معزول. ولكن من توافقهم وهذا أمر مختلف. فالتصورات تكون مختلفة وعابرة ويومية عندما تكون فردية، في حين أنها مستقرة وصلبة ومتقاسمة عندما تكون جماعية" (Blanc N. et autres, 2006, p.14). ويعرف "موسكوفيتشي" التمثل الاجتماعي على أنه: "جهاز من القيم والأفكار والممارسات المتعمقة بمواضيع معينة، ومظاهر وأبعاد للوسط الاجتماعي. فهي لا تسمح فقط باستقرار إطار حياة الأفراد والجماعات، ولكن تكون أداة لتوجيه إدراك الوضعيات وإعداد الإجابات" (Fischer G. N, 2005, p.130). وقد يقارب هذا التعريف، للفكرة التي قدمها "دوركايم" عن التمثلات الجماعية. حيث ينظر إلى التمثلات كوحدة اجتماعية مستقلة تسيّر العلاقات بين الأفراد والجماعات، وهي فكرة قريبة من "الحس المشترك". ويرى "برزليش" أن دراسة التمثل تهدف لإعادة دراسة الكيفيات التي تتم من خلالها المعرفة والسيرورات الرمزية في علاقتها مع السلوكيات، أي أن "التصور فعل رمزي وتركيب للفكر، ونشاط مرتبط بموضوع ما. فالتمثلات تجاه موضوع ما، تحدد مختلف السلوكيات التي يتبناها الأفراد تجاه هذا الموضوع كما تعدل الممارسات في المقابل تمثلات الموضوع". (Blanc N. et autres, 2006, p.16) ويقترح "لابلنتين" بناء على ما سبق، التعريف التالي للتمثلات: حيث "أن التمثلات الاجتماعية هي النقاء الخبرة الفردية بالتمثلات الاجتماعية حول طريقة تناول الواقع، إنها معرفة يبينها أفراد مجتمع معين حول جزئية من وجودهم أو وجودهم برمته، إنها تفسير اجتماعي للأحداث، بحيث يصبح بالنسبة إلى الأفراد المنتمين لذلك المجتمع الحقيقة بذاتها" (Laplantine ., 1994, p.278) Francois وفي الأخير، إن كل تمثّل اجتماعي هو تمثّل لشيء ما أو لموضوع يقوم به شخص ما، ويتربط عن ذلك أن يتأثر التمثل بخصائص كل من الموضوع الممثل والشخص الممثل، فالموضوع والشخص ليسا منفصلين تماما، حيث يمتلك الشخص خصائص الموضوع ليعيد بناءه وفقا لخصائصه هو، وتلك نقطة مركزية في نظرية التمثلات الاجتماعية التي تعتبر أن الحقيقة الموضوعية لا وجود لها. وأن كل حقيقة، هي حقيقة متمثلة، أي أعيد بناؤها بالنسبة للشخص هي الحقيقة ذاتيا. (بومدين، ٢٠٠٤، ص.١٧).

٣- مقارنة التمثلات البيئية للقضايا البيئية: مقارنة علم اجتماع البيئة مثالا:

عديدة ومتنوعة العوامل التي ساهمت في بروز علم اجتماع البيئة كعلم قائم ومستقل بذاته له منهجه وله مفاهيمه ومواضيعه الخاصة به. فمنها ما يتعلق بأهمية العامل البيئي وأثره الكبير على المستوى الصحي والقيمة الكبيرة التي يمثلها هذا الجانب لدى الباحثين والمجتمع. وهو تقريبا ما أشار إليه لاتور Latour (١٩٨٤) في معرض حديثه عن ضعف ومحدودية المنوال البيولوجي كنموذج يركز على العوامل الداخلية. وقد تميز هذا العلم عن علم الاجتماع في

طريقة دراسته للمواضيع والظواهر الاجتماعية بصفة عامة فلئن اهتم علم الاجتماع بالبعد الأخلاقي والرمزي في دراسة الظواهر الاجتماعية كالمواضيع الدينية والمواضيع الثقافية فان علم اجتماع البيئة بحث في الأبعاد المادية والصحية والمواضيع المتصلة بالمحيط والتي كان علم الاجتماع لا يبحث فيها ويعتبرها مواضيع فيزيائية ليست من اختصاصه، بل من اختصاص العلوم الصحيحة كالبيولوجيا والطب والعلوم الفيزيائية والعلوم الطبيعية (دوفار 2005 Deverre). كما ظهر جليا تأثير الحرب العالمية وبرز الفكر الواقعي الميداني (empirisme) المتأثر بالنمط الأمريكي وبدأت الرغبة في تجاوز الفكر الوضعي البحث لأوقيست كونت (Comte). ولم يعد علم الاجتماع علما صرفا يستتب ويحدد القوانين المجتمعية الوضعية، بل أصبح علما ميدانيا ديناميكيا يساير واقع الظواهر الاجتماعية في حركيتها ويتفاعل معه. (عبدمولاه، ٢٠١٢). وهوما عاضده التقدم التقني والاتصالي الحديث والكبير ودعمه التطور الحاصل على مستوى البيولوجي كعلوم الهندسة الوراثية وغيرها من الاختصاصات. فوجد علم الاجتماع نفسه مجبرا على الاقتراب من الواقع اليومي للأفراد لفهم أعمق للظواهر الاجتماعية والسيطرة عليها. وهو ما انعكس سوسيوبيولوجيا وخلق تحولات مجتمعية كبيرة صلب المجتمع المعاصر. وقد ساهم تعقد الظاهرة البيئية وشموليتها في ظهور علم اجتماع البيئة وتطوره (الايكوسوسيلوجيا). وتم تجاوز اقتصار واختزال الدور الإنساني التفاعل مع محيطه في البعد التقني. بل أصبح اختصاصات بعينها وهو تقريبا ما أشار اليه شومباردو لاو Chambart de Lauwel (١٩٨٢). وفي هذا الإطار بحث علم الاجتماع في عدة ومواضيع اجتماعية مهمة تناولت بالدرس علاقة الانسان بالمجموعة وسبل انخراطه فيها. أو كتوظيف الأفراد في إيلاء الموضوع البيئي الأولوية القصوى. والبحث في العوائق والعراقيل التي تعيق طرح هذه القضايا وتشخيصها شومباردو لاو Chambart de Lauwel (١٩٧٥). وضمن هذا الإطار مثلت الظواهر الاجتماعية ذات الطابع البيئي محاور سوسيلوجية (عبدمولاه، ٢٠١٢). مهمة تتضمن علاقة فئات المجتمع بمحيطهم الطبيعي والحيوي وهو ما قد يساهم حسب دوفار في بروز سلوكيات وأنماط مجتمعية جديدة ومؤسسات اجتماعية مغايرة ومختلفة (دوفار 2005 Deverre). فأصبح علم الاجتماع قادرا على فرض ذاته من خلال المواضيع التي يطرحها والمسائل والظواهر الاجتماعية التي يدرسها من خلال مساهماته في قضايا حيوية واقعية تتعلق بصحة الأفراد ومحيطهم القريب. وأصبح الطرح السوسيلوجي متعدد الأبعاد متكاملا متفاعلا لا يفصل بين البيولوجي والاجتماعي ويتفاعل فيه الطبيعي مع الثقافي لفهم أعمق للظاهرة البيئية الاجتماعية ضمن مقاربة موحدة وشاملة للإنسان تتعدد فيها الاختصاصات وتتفاعل. وتتنوع فيها النظريات العلمية وتتكامل (موسكوفيتشي Mosovicci ١٩٧٢)، موران Morin (١٩٧٣). والفصل بينهما لا يعدو أن يكون سوى منهجيا فالجانب

البيولوجي والفيزيائي يمثل القاعدة والقانون الطبيعي للمحيط الانسان وبيئته وتمثل الأبعاد الاجتماعية والثقافية وغيرها من القيم والأخلاقيات المحدد للتوجهات والوسائل والأدوات المستخدمة. والتي تسمح للفرد بالتعامل الإيجابي وحسن التصرف في الموارد الطبيعية. مكنت هذه المؤشرات والمعطيات من تطوير البحوث الاجتماعية وثمنت دور العامل البشري وأهميته في اثاره قضايا البيئة والدفاع عنها وحمايتها. وتجند جميع مكونات المجتمع لخدمتها والتعريف بمشاكلها. وفي نفس الإطار وعلى مستوى قيمي أصبح من الضروري العمل على إرساء ثقافة بيئية جديدة وتغيير نظرتنا الى الواقع المادي البرغماتي باتجاه ثقافة تضع البيئة ومحيط الانسان أولى أولوياتها ومحور اهتماماتها. والاهتمام على مصلحة الطبيعة والانسان. وهو الدور الذي بإمكان علم اجتماع البيئة أن يضطلع به نظرا لمخزونه النظري الثري من جهة وطابعه الديناميكي الحركي وقدرته الكبيرة على الانخراط في الحركية المجتمعية ذات البعد الاجتماعي. الأمر الذي يجعله قادرا على اثاره هذه القضايا البيئية والتعريف بأبعادها وخاصة دعمها والاشتغال على حل مشاكلها وصياغة المقترحات العملية بشأنها. فبرزت مقاربات علم اجتماع البيئة للانخراط في المجال البيئي ودراسة التمثلات حول المحيط ومحاولة فهم وتفسير السلوكيات البيئية. وهنا وجب التفريق بين المباحث التي تهتم بالجانب الطبي والصحي والمفاعلات النووية وغيرها والتركيز على المباحث التي تثير القضايا الاجتماعية بطريقة نقدية تعبر عن خصوصية الموضوع البيئي وتقرده تقاديا للخلط مع بقية المجالات الأخرى وحفاظا على المسافة بين الفروع والاختصاصات المختلفة والمتنوعة (فردسون Freidson 1984) وهذا الفصل المعرفي من شأنه أن يساعد الباحث في دراسة هذه المواضيع وتحليلها ونقدها ويؤثر على نوعية المنتج العلمي ومضمونه. لذلك دعا فردسون الباحث الى مساءلة ذاته حول مهمته ودوره الأخلاقي ووظيفته لتفادي الصدام مع السلطات السياسية أو حتى لتجنب التورط في خدمة سلطة سياسية بعينها. ويؤكد المفكر كيف أن للمنوال الاجتماعي الخاضع لإملاءات السلطة السياسية وممارساته من شأنها اضعاف دور سلوكيات الأفراد وتمثلاتهم. فتظل متخلفة ورجعية وغير قادرة على الرقي والتقدم. ومن بين الأمثلة التي يمكن أن نسوقها مقارنة بارسونز Parsons والتي قامت بتحليل اجتماعي للمؤسسات الطبية الحكومية الأمريكية وقد طالتها عدة انتقادات كبيرة داخل أوساط علم الاجتماع ودفعت بالباحث الى تعديل موقفه وفكره الاستمولوجي وغيرت من نظرتة الى معايير المؤسسات الرسمية حيث فشلت النظرة المعيارية لبارسونز التي توله العلم وتقده الى حد كبير لاسيما تأثرها بالتكنولوجيات والتقنيات الحديثة في فهم الثقافات المحلية وكشفت عن محدودية في الامام بظواهرها الاجتماعية وخاصة البيئية منها (عبد مولا 2010). وفي الواقع لعلم اجتماع البيئة خصوصية تميزه عن عدة اختصاصات أخرى كعلم اجتماع الطب أو غيرها

فالعوامل التاريخية والسياسية لها الأثر الكبير في تحديد علاقة علم اجتماع البيئة بالسلطة والنفوذ السياسي والاقتصادي. فمن المحتمل أن تكون هناك علاقة معينة بحكم خصائص موضوع البيئة وتجاوزه للبعد النظري وارتباطه بالواقع الميداني وصلته المباشرة بكل ما هو اقتصادي وسياسي أو حتى أيديولوجي لكن من المهم أخذ مسافة معينة من المؤسسات الحكومية نظرا لكونها قد تكون مواضيع بحث للباحث الاجتماعي ومن الطبيعي أن يستخدم التحليل الاجتماعي ضمن تفسيره تمثلات الأفراد المحلية أو قد يحل الخطابات والأدوات والتقنيات الحديثة التي تعتمدها المؤسسات الحكومية الرسمية (بونوا Benoit 1966-1983) لاسيما في الموضوع البيئي (أسب Aspe 1991، فيقي Figuié 2001). ويمكن هذه المقاربة النقدية الموضوعية والمنفتحة على واقعها من فهم وكشف أنماط جديدة من السلوكيات الحياتية الصديقة للبيئة والتي يمكنها إثراء معارفنا البيئية وبحوثنا السوسولوجية لفهم أعمق لسلوك الانسان وعلاقة الفرد ببيئته. واشتغلت نظريات التمثلات الاجتماعية حول البيئة في طبيعة علاقة الانسان ببيئته بحثا عن تفاعل إيجابي نحو المحيط يمكن من حل للمشاكل والقضايا البيئية المطروحة من خلال اعتماد مقاربة تثقيفية موضوعها البيئة وأبعادها تربوية وتوعوية في ان. **ويعتبر مفهوم التمثلات** من أهم المفاهيم التي درست من قبل اختصاصات وفروع علمية متنوعة عديدة كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها من العلوم المجاورة والتي موضوعها الانسان. شملت هذه التمثلات جميع مجالات حياة الانسان والأفراد من مأكّل، وصحة وملبس وغذاء... فكانت نقطة تحول مهمة في تناول الموضوع البيئي كشف عن تحولات عميقة صلب المجتمع ومكننا من نظرة تحليلية مختلفة للعلاقة القائمة بين الفرد وبيئته وبين الأفراد فيما بينهم. (أسب Aspe 1991، دوينسكي Dubinsky 1993، باس وروسال Besse&Roussel 1997، ابيلاس Abélès 2000، فيقي Figuié 2001). ومن وجهة نظر نفسية اجتماعية اهتمت هذه النظرية بالتفاعلات القائمة بين المجال المعرفي والمجال العملي من جهة والمجال الاجتماعي بمكوناته من جهة أخرى. (فلامون Flament 1987، بوفوا Beauvois 1984). رغم الفروق والاختلافات النظرية بين مقاربات معرفية كلاسيكية خالصة تعتبر البعد المعرفي أصل الفعل الاجتماعي ومحركه ومولده. في مقابل مقاربات ونظريات اجتماعية جديدة ومختلفة (les théories néo-cognitivistes) تقر بدور الفعل الاجتماعي وأهميته في كل نشاط معرفي، بل وتعتبره مصدرها. (بواتو Poitou 1974، بوفوا Beauvois 1998). وشكل التطور الحاصل على مستوى التمثلات الاجتماعية حول مواضيع بيئية وصحية جديدة انعكاسا لتحول لوعي جمعي ولوعي الأفراد. ووضع حدا للطبيعة بين البعد الإنتاجي التصنيعي القائم على الربح بأي شكل من الأشكال والطبيعة وهو تقريبا ما أشار اليه (دوفار Deverre 2005) "نهاية الفصل الذي أقامته

النزعة التصنيعية بين الطبيعة والاقتصاد، وبين ما هو خاص وما هو عمومي". فبرزت مواضيع جديدة جديدة بالاهتمام كالسلوكيات البيئية تناولها علم الاجتماع واستخدم مفاهيم جديدة لتفسيرها وتحليلها كأسلوب الحياة *style de vie* (كاتلا Cathelat ١٩٩٠، عبدمولاه Abdmouleh ٢٠٠٠) وإعادة الإنتاج *reproduction* (بورديو Bourdieu ١٩٧٦، بورديو-ويسرون Passeron-Bourdieu ١٩٧٠-١٩٧٩، قرنينون Grignon ١٩٧٠-١٩٨٠). وقد اعتبر بعض الآخرين أمثال (دوبري Dobré ٢٠٠٢) أن السلوكيات البيئية قد تكون تعبيراً عن رفض للوضع السائد ونوعاً من أنواع المقاومة والاحتجاج في مقابل نموذج اجتماعي استهلاكي تدميري مستهتر ومسيطر يعكس جشعاً وعدم استنزافاً للطبيعة ومواردها لكنه يبحث عن تملكها ويسعى لحمايتها والمحافظة عليها. (جيانلوني Giannelloni ١٩٩٨). ومثل دور علم المخاطر والبعد التثقيفي في التعريف بقضايا البيئة من المواضيع المهمة التي تكشف عن تمثيلات الأفراد تجاه محيطهم والتي تسمح لنا برصد مواقف الفرد وسلوكياته. فمواجهة المخاطر والكوارث الطبيعية مثل مبحثاً وموضوع سوسيولوجي مهما من بين المواضيع التي تعبر عن درجة وعي الفرد بالمخاطر التي تحيط به. وهو تقريبا ما أشار إليه (Beck ٢٠٠١) حينما ركز على دور المخاطر في تغيير تركيبة المجتمعات وحركيتها "نتقل من مجتمع صناعي مشكلته المركزية توزيع الثروة، إلى مجتمع يقوم على توزيع المخاطر (risques). فلقد أضحت المخاطر مقياساً كبيراً ينظم مجتمعاتنا، ويؤدّ تصرفاتنا، ويفترض منا إعادة تعريف الحركة الاجتماعية والسياسة". وقد ساهم المدخل الصحي بشكل كبير في خلق وعي شعبي بالتهديدات البيئية المحدقة وشكل البعد الصحي أحد أهم المداخل للتعريف بالمخاطر البيئية المحيطة فوعي الأفراد ودرجة دافعيتهم تقوى كلما أصبحت حياتهم وصحتهم في خطر. وضمن هذا السياق قدمت العلوم الاجتماعية والإنسانية كحل لفهم وتحليل السلوك الاستهلاكي للأفراد ومحاولة تغييره والتأثير فيه وقد بين جيانلوني Giannelloni (١٩٩٨) أن المواطن باعتباره فرد "مستهلك" يفرض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على المنتجين وأصحاب القرار احترام البيئة وترويج منتجات صديقة للبيئة. ويكون بالتالي دور المواطن الرقيب كمحفز لدى المسؤولين ودفعهم الى خلق حلول وسلوكيات غذائية مقبولة واستراتيجيات بديلة تراعي البيئة وتحفظ ثرواتها الطبيعية. وركزت جل هذه البحوث جهودها على الاهتمام بمحيط الانسان (PPE-préoccupation pour l'environnement)، نظراً لقدرته على إعطاء صورة عن السلوك الاستهلاكي ومدى احترام البيئة. من خلال تقييم تصرفات الأفراد وسلوكياتهم ومدى مسؤولياتهم في كل التجاوزات التي تحدث. بل وتفرض عليهم تعديل سلوكياتهم تجاه محيطهم. وتتصح هذه المقاربات بضرورة التفكير في حلول تمس جميع مراحل الإنتاج بدءاً بالتصميم مروراً بصنعه وصولاً الى توزيعه ورسلكته. وتشدد هذه

الدراسات على أهمية فرض هذه الشروط من قبل أصحاب القرار على جميع المنتجين والمستثمرين ودفعهم الى تبني سلوكيات استهلاكية صديقة للبيئة. هذه البحوث أعطت قيمة مهمة لمختلف تمثلات الأفراد وثمنت دورهم في التعريف بالبيئة المحلية وقضاياها (جيانلوني Giannelloni 1998). وهو ما يمكن الاستفادة منه في تعديل سلوكيات المجتمع والأفراد وتغييرها. وبينت مقارنة تملك المحيط كمنوال سوسولوجي قدرتها على جعل الفرد متمكنا لمحيطه كلما انخرط في تقديم الحلول لمشاكله المحلية وهي دعوة لتجاوز البيروقراطية المقيتة التي تمارسها مؤسسات الدولة والتي عرقلت كل هذه المساعي. وقد وصف فريديسون Freidson (1984) دورها القمعي في فرض معاييرها وقراراتها على المجتمع ككل. دون مراعاة الخصوصية المحلية للأفراد والسمات العامة للمجتمع وقد نقد (Illich 1970-1971) هذه الممارسات بشدة واعتبرها "سلطة احتكارية" ونبه الى تأثيراتها السلبية كمرقل لأي تنمية مستقبلية واعتبر أن هذه المؤسسات المنقلبة بدل تميمها التحرر السلوكي أصبحت أداة هيمنة و"استعباد". وأصبحت متورطة في تدمير المحيط والقضاء على الاقتصاد المعقلن وأصبحت تؤثر سلبا على الإنتاج (contre-productif). والأمثلة عديدة "فاستعمال المواد العضوية بمقادير مفرطة يقضي على النسيج النباتي في البحر، بدل أن يغذيه" (Clerc 2006) وقس على ذلك العديد من المشاكل التي تعكس افراطا كبيرا في الاستهلاك وتكون انعكاساتها خطيرة على صحة الانسان. وقد اعتبر ايليتش وآخرون أن المؤسسة الاستشفائية قد تصبح هي مصدر المرض وقد تصبح المنتجات غاية في حد ذاتها بعد أن كانت وسيلة. والحاجة الى التنقل تخلق حاجة الى وسيلة نقل والحاجة الى التعلم يتولد عنها مكان تعلم أو مؤسسة تربية. وقد تزداد الحاجة الى العلاج ليصبح المطلب مؤسسة طبية والتي تتحول بدورها الى غاية (إيليتش Illich 1970-1990-1999، عبد موله Abdmouleh 2006-2010). ويظل الانسان تحت رحمة المجتمع الصناعي ومؤسساته وبداعي التطور والرقى تفرض المؤسسات نمط حياتها وأسلوبها في استغلال الانسان والسيطرة عليه. وتغير من ثقافته المحلية وتحدث بها تحولات عميقة وقد تسدها وتخضعها لمنطق الربح. فتختفي المبادرات أو تتراجع بشكل لافت وهو ما قد ينعكس سلبا على صحة الانسان وبيئته الطبيعية والثقافية (فاريابند Feyerabend 1970). وضمن هذا السياق أكد ايليتش على قيمة البحوث الاجتماعية والنفسية في تقوية الوعي بالوضع الكارثي الذي سببته هذه المؤسسات ذات الطابع الاحتكاري وفضح ممارساتها وبالتالي التأثير على أصحاب القرار واقناعهم بضرورة التدخل للحد من هذه التجاوزات البيئية والصحية الخطيرة والتصدي لها واخضاعها للرقابة المستمرة. (إيليتش Illich 1970). وهي دعوة صريحة لتحرير السوق وإطلاق المبادرات المحلية والجماعية لتخليص التحرك البيئي والأنشطة البيئية من البيروقراطية المقيتة وهو ما يجعلهم يسترجعون بينتهم

ويعيدون تملكها بعد أن كادت تضيع منهم جراء الاستغلال المفرط لنموذج اقتصادي سلطوي واحتكاري. الأمر الذي جعل إيليتش يمتلكه الخوف من إمكانية وحمية تحول المجال البيئي إلى مؤسسة علمية (scientiste) تكبل الإنسان وتخضعه حسب "املاءات ايديولوجيا البيئة" (إيليتش، ١٩٧٥، ص ٢٠٧). وشدد الباحث في نفس الإطار على ضرورة وضع عقد أو اتفاق عام حول الإجراءات الكفيلة بضمان استقلالية الإنسان، في عصر ما بعد الصنّاعي"، يمكنه أن يحفظ علم البيئة من التورط في متاهة الطابع المؤسّساتي والتحول إلى سلطة معيارية أخلاقية. وقد تبنى هذا الموقف عدة باحثين على غرار (جوناس Morin، Serres، آيل Ellul، دومون Dumont، موسكوفيتشي Moscovici، موران Morin، لاتوش Latouche...) والذين تميزوا بحرصهم على دفع المجتمعات المحلية والأفراد على تبني فكرة تملك المحيط. وقوة درجة الدافعية نابعة من الخوف على حياتها وهي من باب شعورهم بالمسؤولية الأخلاقية نحو بيئتهم والطبيعة عموماً. فبرزت الجمعيات على اختلاف توجهاتها ومكوناتها لتمثل أطواراً مرجعياً منظماً للأفراد ومهيكلًا لتشنّتهم على حب البيئة والحفاظ عليها وتهينّتهم للعب أدوار اجتماعية داخل المجتمع المعاصر من خلال المشاركة في إرساء ثقافة بيئية تكون كفيلة بضمان حقوق الأجيال اللاحقة في عيش حياة كريمة في بيئة سليمة (عبد مولا، ٢٠٠٨).

٤- نظريات التمثلات الاجتماعية:

العديد من الفلاسفة على غرار جون لوك يرون أن تمثلاتنا التي نولد بها هي عبارة عن تشكيل كلي شمولي يعكس فهماً معيناً نحاول الوصول إليه وهذه الكلية قد تساعدنا في فهم المشاكل والمواقف وتكسبنا القدرة على فهمها واستيعابها. فالتمثلات التي لدى الفرد حول الظواهر المحيطة به هي نتاج تراكمات لتجارب تتشكل من خلالها جملة من الأفكار تمكننا من التواصل مع العالم الخارجي. وبالتالي هي ليست وليدة فطرية تولد معنا. في حين يقترح كانط في نقده للعقل الخالص تصنيفاً لملكات العقل تتحدد من خلالها وظيفة التمثلات وطبيعتها. ميز بها بين الرغبة والشعور كجوهر والمعرفة كجوهر مستقل بذاته. هذه حسب رأيه على صلة بالبعد الكلي الشمولي للتمثلات والتي تبرز في شكل تصورات وأحاسيس ومدركات وحتى معارف. أما علم النفس قدمت نظرية جان بياجيه مقارنة جديدة ومغايرة للتمثلات العقلية للطفل كمحاولة لفهم الطريقة التي من خلالها يشكل الطفل تمثلاته حول العالم. فذكر تمثلات طابعها عملي وأخرى عبارة عن تمثلات صورية الطابع وأخرى تمثلات مفاهيمية وتوصل إلى كون التمثلات هي الصلة التي تربط البعد الرمزي للعالم الخارجي بالجانب العقلي. وهو يعكس قيمة هذا المفهوم التمثلات لدى علماء النفس. بينما ركزت أبحاث إيميل دوركهايم الاجتماعية على التفريق بين نوعين من التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية وأكد على أن المجتمع هو

عبارة عن كيان يختلف في تمثلاته كليا عن تمثلات الأفراد فوعي المجتمع باعتباره الأصل في كليته وشموليته ليس هو بالضرورة وعي الأفراد مجتمعين رغم كون الأفراد هم من يشكلون هذا المجتمع. وتفرض التمثلات الاجتماعية من وجهة نظر دوركهايم على الفرد قيودا. يتحرك وفقها فتحدد نمط تفكيره وهي عبارة عن قواعد اجتماعية أخلاقية وقانونية... تفرضها مؤسساتها الاجتماعية. وضمن هذا المنطلق ركزت فكرة دوركهايم الرئيسية على هيمنة العناصر الاجتماعية (كالتمثلات الجماعية والوعي الجماعي...) وتحكمها في العناصر الفردية. في حين قدمت دراسات موسكوفيتشي نظرية معرفية ركزت في بعدها المفهومي على مفهوم التمثلات الاجتماعية. حيث اهتمت بالتمثلات الاجتماعية كبديل عن التمثلات الجماعية لينتقل بنا هذا المفهوم من حقل علم الاجتماع الى حقل علم النفس الاجتماعي. وبرزت هذه العلاقات المتشابكة بين الفرد كنتاج للمجتمع من جهة وبين أهمية الأفراد في تكوين المجتمع وتشكيله من جهة أخرى رغم كونهم يتأثرون به. ففتشاً التفاعلات المتبادلة. وأصبحت علاقة الفرد بالمجتمع من خلالها هذا المفهوم علاقة ديناميكية وأصبح التركيز مسلطا على التفاعلات المتواصلة بين الافراد والمجتمع. أما البعد التواصلية للتمثلات الاجتماعية يقع مجال التمثلات الاجتماعية في مفترق طريق بين عدة اختصاصات علمية متنوعة ومتعددة على غرار علم الاجتماع علم النفس الاجتماعي التربوي الأنثروبولوجيا والتاريخ... وهي نقطة التقاء بينهم جميعا. وقد عرفها موسكوفيتشي (١٩٦١) بكونها "طريقة خاصة في المعرفة تخدم التواصل الاجتماعي وتتميز بحزم عن عالم الفكر العلمي" وهذه الأشكال من المعرفة السانجة تهدف الى تنظيم وإدارة وتوجيه التواصل" وتشكل المعرفة الطبيعية خصوصيات الفئات الاجتماعية التي ينتجونها" تعتبر التمثلات الاجتماعية من وجهة نظره صورة للواقع وهي ليست استنساخا للواقع، بل هي إعادة تفسير وتكوين له. فالتمثلات الاجتماعية اذن هي تمثلات ليست متعلقة بالموضوع المدروس في حد ذاته وانما هي تمثلات في العقل والفكر الذي يتبناها. وهي عبارة عن جملة من المعتقدات والتخيلات والمواقف والاتجاهات والميولات الصحيحة أو الخاطئة وهي مزيج بين معارف علمية وأخرى غير علمية مشكوك في صحتها ووجاهتها. وتقوم التمثلات الاجتماعية بمثابة رؤية مخصوصة للواقع تجعلنا نحاول أن التصرف والتعامل مع الواقع من خلالها. واعتبر موسكوفيتشي (١٩٩٥) أن عملية بناء التمثل الاجتماعي هو وليد ونتاج لتفاعل مستمر وتبادلي بين الفردي والاجتماعي. "ما كان فرديا هو اجتماعيا وبالتالي فهو خارجيا وما كان اجتماعيا هو فرديا وهو بالتالي داخليا" ويتقاطع كليهما ليشكلان التمثل الاجتماعي أو التمثلات الاجتماعية كما نعرفها ونفهمها اليوم" (موسكوفيتشي ١٩٩٥ ص ١٧). أما جودلي (دينيس) فقد عرفتها بكونها "أنظمة التفسير التي تحكم علاقتنا بالآخرين التي توجه وتنظم السلوك والاتصالات الاجتماعية"

واعتبرت أن "الظواهر المعرفية تنطوي على الانتماء الاجتماعي للأفراد من خلال استيعاب الممارسات والخبرات ونماذج السلوك والفكر" (١٩٩١ ص ٣٦). وهي إشارة الى طرق معينة في التفكير والتفسير تعبر عن نموذج تفسيري سابق لعملية التعلم النظامية ذات الطابع الرسمي وهي عبارة عن بدائل تفسيرية للنماذج التفسيرية الأساسية أو العلمية. (جوشوا ودابن ١٩٩٩). ويرى فيها ميشال ديفيلاي "نظريات شخصية عن العالم" (ديفيلاي ١٩٩٢) وهي حسب رأيه معرفة الفطرة السليمة والحس المشترك الموجودة في قلب العلاقات الاجتماعية للعمليات الاجتماعية المرتبطة أحيانا بالتنمية الفردية وأحيانا أخرى بالتنمية الاجتماعية في تعريف الهويات الشخصية والاجتماعية (جودلي) وتستند مقاربات التمثلات الى عمليتين:

- العملية المعرفية التي تتوافق وعلم النفس الاجتماعي وتركز على فهم الظاهرة المعرفية
- العملية الاجتماعية وتندرج ضمن منظور التحليل الأنثروبولوجي والاجتماعي للظاهرة الاجتماعية هذا النوع من المعرفة يشمل عناصر إعلامية معرفية أيديولوجية معيارية معتقدات قيم ومواقف اراء صور... (جودلي ١٩٩١ ص ٣٦) تشكل هذه العناصر في تفاعلها معرفة ونظام تفسير ينظم ويوجه علاقة الذات بالذات وبالآخر وبالمجتمع. وهو نظام التفسير الذي هو جزء من منظور بنائي في مجمله كما في أجزائه وهو جزء من عملية البناء الاجتماعي للواقع (berger and lukmann ١٩٦٦). وللمثلاث الاجتماعية دور في الكشف عن هويتنا الفردية والجماعية حيث تفترض البنائية أن معرفة أي موضوع ليست بالضرورة "نسخة" من الواقع، ولكنها إعادة بناء له. تسعى البنائية الى دراسة الآليات والعمليات التي تسمح ببناء الواقع في الموضوعات من عناصر متكاملة بالفعل.

٥- مقارنة هرتسليش كلودين (١٩٦٩): في عملها على تمثل الصحة والمرض تعتبر التمثلات الاجتماعية كحقيقة فريدة (محددة وخاصة) خارجية للنماذج الطبية تشارك أيضا في نفس التوجه. وتعتبر أن حقيقة المرض والصحة تتجاوز بكثير مجال المعرفة الطبية البيولوجية الى ما هو اجتماعي. بالإضافة الى كون هذه التمثلات هي جزء من مجال تم تحديده وتنظيمه من خلال مجموعة من العلاقات الاجتماعية الخارجة عنهم. دون أن ننسى أن الممارسات الاجتماعية والمهنية تولد أيضا مجموعة من العناصر التي تعمل بالتفاعل مع الكائن والتي تظهر كبعد مكون ومشكل للتمثلات.

٦- مقارنة تمثلات الطفل حول القضايا البيئية وعلاقتها بالدور التنقيفي للتربية البيئية:
مثلت هذه المقاربة (صامويل ليباز) محاولة لتجاوز جميع المقاربات التي تقوم على رصد مواقف الطفل وسلوكياته تجاه البيئة وملاحظتها ومحاولة تعديلها. وحاولت هذه الدراسة أن ترصد تمثلات الأطفال حول البيئة من خلال تقنية التعبير والرسم. واشتغلت الدراسة على عينة من الأطفال بين سن ٧ سنوات الى سن ١٢ سنة. وكان الهدف من هذه المقاربة الكشف

عن مضمون تمثل الطفل لمفهوم التلوث (الغازي /السائل / الصلب). والغرض من هذا البحث ربط النتائج السيكولوجية التي موضوعها التربية وتوظيفها لتطوير معارف تربية وتعليمية تتوافق وخصوصية الطفل المعرفية والنمائية ومحاولة تطوير مواقفه تجاه البيئة وجعلها إيجابية مثل مؤتمر ستوكهولم منطلقا للاعتراف بمفهوم التربية البيئية ودورها في الحد من ظاهرة تدهور البيئة الحياتية. والهدف من كل هذا أكد عليه مؤتمر تبليسي ١٩٧٧ يتمثل في نشر الوعي بالمشاكل البيئية ورصدها وحلها بشكل استباقي وفي هذا السياق يتجلى دور المدرسة خاصة في السنوات الأولى وفترات التعلم المبكر. وبالاشتغال على البرنامج الدراسي المغربي، نلاحظ أنه يختلف من مستوى دراسي إلى اخر. ويتغير المحتوى من برنامج دراسي الى اخر. فعلى سبيل المثال، يمثل البرنامج الدراسي لأطفال الخمس-ست سنوات مجرد تفتح علمي مضامينه معرفية التلوث التربية الفصول. ويصبح في الفصل التاسع عبارة عما يسمى بالاجتماعيات من خلال الوقوف على أثر الأنشطة البشرية في البيئة. في حين تتوزع المواضيع البيئية المطروحة في الكتب كالاتي: حيث يتضمن كتاب علوم الحياة والأرض لسنة ٢٠٠٣ المواضيع التالية (التوازن الطبيعي والموارد المائية والأخطار التي تهدد الموارد المائية). (بنعيسى ، ص.٤٣١) وتتمثل طريقة طرحها في شكل (صورة مصحوبة بنص قرائي أو من خلال صورة وعنوانها). أما في الاجتماعيات لسنة ٢٠٠٤ (طبعة ٢٠١٤) فتعلقت المواضيع بالبحار والمحيطات ومصادر الغذاء. وتم تناولها في شكل قرائي. وتهدف هذه الدراسة للكشف عن تصورات المتعلمين وتمثلاتهم وتحديد كيفية نمو هذه التمثلات ومراحلها بالتوازي مع عامل النمو أو سن الأطفال المغاربة الذين ينتمون للتعليم النظامي المغربي ويرتادون مدارسها الابتدائية. ولئن تعددت الدراسات والبحوث الأكاديمية وتنوعت إلا أنه يمكن اختزال أهمها في بعض التجارب الفريدة:

-مقابلات شبه مهيكلة (اليونان ٢٠٠٧ Dimitiou christidou D)،

-مقابلات مهيكلة (الهند Saxena ٢٠٠٩)،

-استمارات مكتوبة (اليونان ٢٠٠١ Straridou & Marinopoulos).

أكدت هذه المحاولات البحثية أن التمثلات لدى أطفال (١٢/٧ سنة) هي تمثلات محسوسة وعامة وغير نسقية (التلوث الجوي) حيث يجدون صعوبات في تفسير العلاقة / التفاعلات مع مكونات البيئة في حين بينت أبحاث Dimitiou christidou D ٢٠٠٧ أن تنوع مصادر المتعلمين واختلافها بين تعليم نظامي وآخر لا نظامي من أعقد الصعوبات التربوية يضاف إلى ذلك غياب الطابع النقدي الحواري حول هذه المواضيع المطروحة الذي جعل من التمثلات التلميذية ضبابية وغير واضحة المعالم في ذهن الطفل. وفي هذا الإطار دعا كليهما إلى ضرورة تنوع أساليب التدريس وطرقه لتتلاءم مع سن المتعلمين. وذلك بتثمين اعتماد

الصور والرسومات. تعتبر طريقة تعلم المفاهيم البيئية بأسلوب الرسوم مقارنة طريقة. وحسب Mayne & Gross (1999) تقلل الرسوم من المطالب الاجتماعية للمقابلة. ويتفاعل المتعلم معها إيجابيا. وينزع نحو الدقة والشمولية. فالرسم طريقة تواصلية بامتياز Picard Zarlouch (2014). وهي طريقة لدراسة تطور المفاهيم في ذهن المتعلم رغم أنها لا تعكس مباشرة التصورات Thomas & Silk 1990. غير أن التحليل المضموني للرسوم له قيمة عملية مهمة حيث يسمح لنا باكتشاف منطق تفكير الطفل وطريقة مقارنته للأشياء وطريقة تصوره وتمثله للظواهر البيئية والفيزيائية أو الظواهر الحياتية. (بنعيسى ، ص ٦٠) وتمثلت التجربة في تحديد تصورات الأطفال حول التلوث من خلال القيام برسم منظر طبيعي ملوث مقارنة مع رسم مرجعي يثبت تطورها مع المستوى الدراسي للطفل.

٧- علاقة تمثلات الفرد باتجاهاته وسلوكياته البيئية تجاه قضايا البيئة المحلية:

البحوث المتعلقة بالتمثلات الاجتماعية للمحيط هي مقارنة ترصد علاقة الانسان ببيئته من خلال إدماج البعد البيئي ضمن استراتيجيات التوعية والتربية في مجال البيئة. ويعتبر مفهوم التصورات الاجتماعية مفهوما مركزيا وهو نقطة ارتباط بين عدة مجالات (صحية. ترفيه. سكن...) وعدة اختصاصات أكاديمية (علم الاجتماع. التاريخ. علم النفس. الانثربولوجيا). وقد أشارت الدراسة إلى أن التمثلات الاجتماعية هي مقارنة عميقة للعلاقات الاجتماعية وانعكاسا للتحويلات الاجتماعية ذات الطابع البيئي) أسب Aspel 1991، دوبنسكي Dubinski 1993، باس وروسال Besse & Roussel 1997، ابيلاس Abélèse 2000، فيجي Figue (2001). وأكد عبد مولاة أن التمثلات من الزاوية الاجتماعية هي مقارنة ترصد التفاعل بين المجال المعرفي والعملية من جهة وبين الحقل الفردي والحقل الاجتماعي من جهة أخرى وهي تعبير عن تعقد الواقع الاجتماعي وثنائه (فلامون Flament 1987، بوفوا Beauvois 1984).

٨- دور التمثلات الاجتماعية في تفسير سلوك الأفراد والجماعات:

وضمن هذا الإطار، فإن التمثلات الاجتماعية هي تعبير عن نظرة جماعية لمواضيع جديدة حياتية (الصحة المحيط... وهي بمثابة إعلان عن قطيعة مع "الفصل الذي أقامته النزعة التصنيعية بين الطبيعة والاقتصاد وبين ماهو خاص وماهو عمومي "دوفار Deverre 2005). وقد أشارت دراسة عبد مولاة إلى أهمية السلوكيات البيئية كموضوع ضمن علم الاجتماع وعلم التسويق البيئي. ومن أجل دراستها وفهمها، وجب الاستعانة بمفاهيم جديدة "كأسلوب الحياة Style de vie كاتلا Catelat (1990)، عبد مولاة Abdmouleh (2000). وإعادة الإنتاج reproduction بورديو Bordieu 1976، بورديو وبسرون

و كشفت Grignon 1970-1980، قرينيون Bordieu et Passeron 1970-1979، Dobré (2002). الدراسة أن السلوكيات البيئية مثلت ضرباً من التمرد الاجتماعي دوبري (2002). فسلوك البعض هو علامة على عدم الرضاء عن المنوال الاجتماعي الاستهلاكي المهيمن القائم على الربحية على حساب الثروات الطبيعية وهو ما يعكس رغبة في حماية البيئة والمحيط جيانالوني Giannelloni (1998).

٩- كيفية تشكل الاتجاهات وعلاقتها بسلوكيات الأفراد :

تعددت التعاريف والآراء والبحوث الخاصة بموضوع الاتجاهات، حيث عرفها البورت ALLPORT الاتجاه على أنه "إحدى حالات التهيؤ والتأهب العقلي العصبي التي تنظمها الخبرة، ولها فعل توجيه على استجابات الأفراد للأشياء والمواقف المختلفة". (AIIPORT, G (1954, p.12) , W, أما بوجاردوس BOGARDUS فيرى الاتجاه على أنه "نزعة للتصرف سواء إيجاباً أو سلباً نحو وضع ما، في البيئة التي تحدد قيماً إيجابية أو سلبية لهذا التصرف". وقد كان تعريف نيوكمب NEWCOMB من خلال مدخل معرفي سلوكي، حيث "يمثل الاتجاه من وجهة النظر المعرفية تنظيماً لمعارف ذات ارتباطات موجبة أو سالبة، أما من وجهة النظر الدافعية، فالالاتجاه يمثل حالة من الاستعداد لاستثارة الدافع، فاتجاه المرء نحو موضوع معين هو استعداد لاستثارة دوافعه فيما يتصل بالموضوع، وهذا الاستعداد يتأثر بخبرة المرء ومعارفه السابقة عن هذا الموضوع سلباً أو إيجاباً. (بلقيس، 1983، ص. 40) وعرفها هاري أبشو UPSHOW للاتجاهات بأنها: "المواقف التي يتخذها الأفراد في مواجهة القضايا والمسائل والأمور المحيطة بهم"، بحيث يمكن أن نستدل على هذه المواقف من خلال النظر إلى الاتجاه على أنها بناء يتكون من ثلاثة أجزاء، وهي جزء أول يغلب عليه الطابع المعرفي ويشير إلى المعلومات التي لدى الفرد والمتعلقة بهذه القضايا أو المسائل. أما الجزء الثاني فسلوكي ويتمثل في الأفعال التي يقوم بها الفرد أو يعمل على الدفاع عنها أو تسهيلها فيما يتصل بهذه القضايا . أما الجزء الثالث والأخير فهو: انفعالي، ويعبر عن مشاعر الفرد تجاه كل ما يتصل بهذه القضايا.(Bougardous, 1931, p.444) ويشير الاتجاه عند كاباسوامي KOPPUSWAMY إلى "موقف الفرد تجاه بعض المواقف أو الأشخاص أو الجماعات المختارة". (دويدار، 1994، ص. 12). بينما يعد كرتش وكرتشفيلد وبالاش الاتجاهات بأنها: "نظم دائمة من التقسيمات الإيجابية أو السلبية والمشاعر الانفعالية وميول الاستجابة مع أو ضد الموضوعات الاجتماعية".(دويدار، 1994، ص. 106). كما عرّف ولمان الاتجاهات، على أنها "استعداد للاستجابة بطريقة منسقة وبأسلوب محدد سواء كان ذلك إيجابياً أم سلبياً لأشخاص أو موضوعات أو مفاهيم معينة" (جابر، الشيخ، 1978، ص. 17). أما تعريف توماس TOMAS يعتبر اتجاه الشخص هو "حصيلة مزاجه ونوع

المفاهيم التي يفرضها عليه مجتمعه والصورة التي يدرك بها شتى المواقف في ضوء خبراته وتفكيره" (دويدار، ١٩٩٤، ص. ١٥٢). ويقدم وارن WORREN تعريفا مهما للاتجاه فهو حسب رأيه "استعداد نفسي يتكون بناء على ما يمر به الشخص من خبرات يمكن أن تؤدي في نهاية الأمر إلى إحداث تغييرات في مجال الاتجاه". (Chave, E.G., (1950). في حين يعرف رايتسمان ودوكس للاتجاه على أنه "توجه ثابت وتنظيم للعمليات المعرفية والانفعالية والسلوكية". (عبدالله، ١٩٨٤، ص. ٤٥) وأخيرا يعرف زنانكي ZANANICKI الإتجاه بأنه "الموقف النفسي للفرد حيال إحدى القيم أو المعايير بمعنى آخر اتجاه نفسي يحدد المعايير الاجتماعية القائمة" (شكري، الحمادي، ١٩٩١، ص. ٤٣). ويتكون الاتجاه نتيجة لتكرار تفاعل الفرد مع موضوع ما في وضعيات مختلفة قد يقبلها إذا كانت تناسبه وقد يرفضها إذا لم يستسغها. وقد يكون الاتجاه ردة فعل نتيجة حدث ما. ثم يتأثر به ويصبح موقفا ثابتا ويترجمه من خلال سلوكه، وقد عرفه دويدار (١٩٩٤، ص ١٦٨) بكونه "القابلية للاستهواء تقوم بدور كبير في تكوين اتجاهاتنا. ويقصد بالقابلية للاستهواء سرعة تصديق الفرد وتقبله للأراء والأفكار دون نقد أو مناقشة أو تمحيص، خاصة إذا كانت صادرة عن شخصيات بارزة أو ذات نفوذ أو يعتقها عدد كبير من الناس" (صالح، ٢٠٠١، ص. ٤٤). ومن الشروط الموضوعية التي قدمها (دويدار) لتكوين الاتجاهات (صالح، ٢٠١١، ص. ٤٣). واختزلها في تشكل والخبرات الفردية وتكونها لدى الفرد، ثم تتميز هذه الخبرات وتكتسب سمات متنوعة ومختلفة عن بقية المواقف الأخرى وهي نتيجة مباشرة لتراكم الخبرات. غير أن خبرة قوية واحدا تطغى على بقية الخبرات فتصبح اتجاها. هذا وتجدر الإشارة الى كون الوالدين والمجتمع قد يمنحاننا سمات ترتقي إلى مستوى اتجاهات لكنها اتجاهات. جاهزة نتيجة المحاكاة والتقليد. وتجدر الإشارة إلى كون الاتجاهات لها خصائص معينة ذكرها دويدار (١٩٩٤ ص ١٧٤) وقد حددها قبله نيوكمب (Newcomb) فهي اتجاهات مكتسبة ومتعلمة وقبلية (وهي نتيجة تراكمات وخبرات منذ الطفولة) وهي متدرجة (تنمو تدريجيا وتتطلب فترة من الزمن) وهي ثابتة (تصبح شيئا فشيئا سمة وتنصف بالاستمرارية وتتحول إلى مواقف واتجاهات). وأخيرا تتصف الاتجاهات بالتصادم. فقط تكون في بعض الأحيان قناعات شخصية فردية قد لا تتوافق مع معايير المجتمع ككل الذي يرفضها وقد يقمعهما. أما أنواع الاتجاهات (صالح، ٢٠٠١، ص. ٤٧). فهي متنوعة وعديدة فمنها ما هو جماعي حيث إن بعض الاتجاهات جماعية يشترك فيها الفرد مع عدة أفراد. في حين يكون بعضها شخصيا- ذاتيا. ومنها ما هو شعوري ولا شعوري يظهر الفرد بشكل واع ومقصود اتجاهاته ومواقفه التي تتوافق مع قيم المجتمع ومعاييره. وقد يخفي لا شعوريا بعضها والتي يرى أنها مرفوضة من قبل المجتمع. ومنها ماهي موجبة وسالبة: قد يتخذ الفرد موقفا يعكس قبولا وموافقة وانسجاما

تجاه موضوع ما وقد لا يتفاعل مع موضوع ما ويعبر عن عدم اهتمام ويتخذ موقفا واتجاهها سلبيا. وبعضها قوية وأخرى ضعيفة فإذا كان الموضوع المستهدف محور اهتمام الفرد يتحمس له ويحافظ على قوة درجة اتجاهاته ويسعى للمحافظة على ذلك الزخم وتلك الدافعية. نتيجة اقتناع داخلي بأهميته. في حين نراه يتخلى بسرعة تحت تأثيرات خارجية عن بعض الإتجاهات. وتكون ميولاته ومواقفه نحوها ضعيفة. وعموما يمكن القول إن للاتجاهات عدة وظائف. فهي مقارنة تقييمية قد تعكس توافقا مع الذات ومع الآخرين وتشعره بالرضى. وقد تعبر عن دفاع عن موقف شخصي. وهي حيلة دفاعية تقنع الذات بصواب موقفها وتجعلني أكتشف نفسي وأفصح عنها. وقد تكون مقارنة قيمية وتعكس موقفا تعبيريا إيجابيا عن القيم. وقد يثمن الاتجاه البعد المعرفي الذي يزودنا بخبرات ومعطيات تجعلنا نحسن التصرف ونتخذ مواقف سليمة تجاه أي وضعية معقدة.

١٠- المواقف إزاء البيئة أو صدى البيئة في المجتمع التونسي:

بينت دراسة قام بها (عبد مولاة ٢٠١٢) حول مواقف المجتمع التونسي من البيئة وصداها لديه أن قرابة خمس المستجوبين يرون أن الأمل في العودة الى نوعية الحياة الطبيعية يظل قائما. في حين ترى نسبة أخرى تماثلها من حيث الحجم نسبية ومحدودية هذا الإقرار. بينما تؤكد نصف العينة تقريبا استحالة العودة الى الحياة الطبيعية التي نطمح بها. والتفسيرات التي تقدم في نظر الباحث كمبررات هي عديدة وقد حصرها الباحث في ثلاث مبررات أهمها أولها تأثير نماذج التقدم والتطور والذي يحاول اقضاء المنوال التنموي الطبيعي وهم يمثلون خمس العينة تقريبا والذي يعد التمسك بالنموذج الطبيعي تعبيرا عن التخلف والرجعية في المقابل يقدمون النموذج الحدائي كحل ونموذج وبدل يرمز للتححر والرقى والازدهار وجب الاعتماد عليه. ثانيها التكيف والتأثر بالمنوال الحالي قرابة الثلثين حسب نفس الدراسة رغم أن خلفيتهم ليست بالتقدمية غير أنهم يشعرون بنوع من الإحباط من الوضع البيئي القائم في ظل انعدام أفق بيئي مستقبلي أو استراتيجية بيئية واضحة المعالم. وبالتالي يجدون أنفسهم منسجمين مع الوضع الراهن رغم عدم رضاهم عليه. ولكن منطقتهم الواقعي والبرقمتي يدفعهم بالقبول والتعامل مع شروط الواقع المؤلمة. وثالث هو صنف يرى في استحالة العودة للنموذج والمنوال الطبيعي في ظل الغزو الرهيب للمكننة والتكنولوجيات بجميع أنواعها وفي ظل التحول العمراني المتسارع والانفجار الديمغرافي المهول قرابة الربع (١٢,٥ بالمائة / ٧ بالمائة و٣,٤ بالمائة) من المستجوبين عدوا هذه الحواجز (عبد مولاة ٢٠١٢) وهي من أهم مهددات التوازن البيئي. وتقلق راحة الانسان في العيش بسلام وفي تناغم مع الطبيعة. لكنهم عن عدم رضاهم ورفضهم لأي منوال مجتمعي مجدد على حساب البيئة الطبيعية ويرونها نماذج استعمارية متوحشة وأنانية خلقت للسيطرة والهيمنة والتحكم من خلال تغيير جميع ملامح الواقع المحلي

باسم الحداثة. وكشف العمل الميداني للباحث عن تحولات عميقة في تمثلات الأفراد والمجتمع. عكست خضوعا كليا وانسجاما وتكيفًا مع النمط العصري وقبوله بايجابياته وسلبياته كالنزوع الى التصنيع والمكننة في جميع تفاصيل الحياة. بالإضافة الى الانفجار الديمغرافي والزحف العمراني على المساحات الخضراء وتغير السلوك الاستهلاكي للمجتمع. وانتشار الشركات الربحية المدمرة للبيئة والمحيط الطبيعي في ظل غياب للوعي بهذه المخاطر لدى أغلبية أفراد المجتمع المحلي خصوصا. في مقابل تصور -وهم قلة- مازال متشبثًا ومحافظة على نمطه التقليدي والرافض لكل تغيير أو تحويل للطبيعة. وقد ساهم السلوك الاستهلاكي للمجتمع التونسي حسب الباحث بدوره في تعميق الفجوة بين علاقة الانسان بالطبيعة. دون أن ننسى البعد السياسي والاختيارات المحلية ودورها في تعميق الازمة البيئية من اخلال تبعيتها وتأثرها بالنماذج التنموية الغربية والتي طغى عليها الطابع الربحي على حساب البعد الطبيعي في ظل انعدام البعد القيمي الإنساني في التعامل مع البيئة الطبيعية والمحافظة عليها. وقد يولد الشعور بالضميم والظلم الاجتماعي ويغذي منسوب النقد ويؤججه قد يتجاوز احتجاجات حماة البيئة الغربيين فسكان البلدان النامية والمجتمع التونسي على وجه الخصوص مستأوون من غياب العدالة التنموية في التعامل مع بلدان العالم الثالث ويعتبرون أنفسهم مغيبون ولم يحصلوا على أية فوائد أو أي امتياز يجعلهم يثقون في سياسات الغرب و يتحمسون لها بل بالعكس فهم يرون أن النتائج التي حصدها لا تعدو أن تكون سوى حصيلة سلبية خاصة على مجتمعاتهم. (استغلال مفرط للثروات الطبيعية ونهب مفضوح لتلوث بيئي رهيب مشاكل صحية جديدة فقر شديد اشتعال حروب ونزاعات جديدة أزمت غذائية...). وقد أكدت نتائج الدراسة أن ثلث المستجوبين غير مقتنعين بهذه المناويل التنموية الخطرة ويفضلون العودة الى طبيعتهم التي يعتبرونها مكسبهم الوحيد الذي يجب أن يحافظوا عليه. ونسبة قليلة أقل من العشر يحدوهم الأمل في مستقبل مشرق ضمن نظرة تفاؤلية ترى أن الطبيعة قادرة على تجاوز مخلفات المجتمع الصناعي السلبية والتصدي لها عبر اقناع الجميع بأهمية الطبيعة وتوازنها في خلق التنمية مع تثمين دور العلم في إيجاد حلول صديقة للبيئة تضمن الإنتاج والرقي والتطور وتحترم الطبيعة في ان. لكن تبقى المنوال الطبيعي كما قدمه الباحث حبرا على ورق ويظل مجرد خيارات رهينة إرادة سياسية من سلطة الاشراف شريطة تثمين دور الانسان واعتباره محور عملية الإنقاذ وسبيلها الوحيد. مع التركيز على البعد التثقيفي في تغيير تمثلات الأفراد والتأثير في سلوكياتهم الاستهلاكية وتعديل مواقفهم واتجاهاتهم وهو ما يقر به تقريبا أقل من عشر المستجوبين. واللافت للنظر أن موقف التونسي مازال متذبذبا حيال هذه المسائل ويبدى حذرا شديدا حيال تحقيق هذا الرهان رغم قوة درجة وعيه بالمخاطر المحيطة به. وقد يعود ذلك للقلق الذي يشعر به أمام الترددي الخطير للوضع البيئي وتخفي رغبة خفية لديه في

أن تستعيد الطبيعة برقيها بالعودة الى أصولها وجذورها الأولى. وهو تقريبا موقف يتقاطع مع أفكار التيارات الرومنسية البيئية قديما وحديثا. غير أن الواقع التونسي له خصوصيته فحسب الباحث يختلف المجتمع التونسي عن التيارات الرومنسية التي تعتبر البيئة شيئا مقدسا ويؤلهونه. وهو نفس التوجه السبينوزي الذي يعتبر الطبيعة الاها ويمائل بينهما ويعتبرونها مصدر الخلق ومز الفضيلة والثوة المطلقة. فان المجتمع التونسي المسلم يعتبرها دليل على عظمة الله وقدرته الخارقة على الخلق ويعتبرون الطبيعة مخلوق كبقية مخلوقات الله وتقوم علاقة التونسي بطبيعته على الحب والاحترام لا غير. وتبين الدراسات في شتى المجالات كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الطبي... أن المجتمعات لا تفصل ضرورة بين الديني واللائكي والعلماني وبين الرحي والمادي ولا حتى بين "المعقول" و"اللامعقول" بل يستخدم حسب الباحث كليهما في المقاربات العلاجية (لابلاننتين Laplantine ، مارتير Maitre ، لو Loux ، فافراي سعدة Faveret-Saada ، فريدمان Friedman الخ...). وقد لا تقل التمثلات ذات البعد الإنساني في نظر الباحث قيمة عن البعد الرومنسي والجمالي في إطار علاقتنا بالمحيط. فالمحيط مرادفا للصحة ومصدرا لها علاقة التونسي ببيئته علاقة متينة ومتماسكة نظرا لارتباطها سلامته غير أن البعد الصحي أيضا يمثل أحد أهم اهتمامات المجتمع التونسي فهي بالنسبة اليه انعكاس للمحيط الذي يعيش فيه ونكاد لا نستطيع الفصل بينهما لارتباطهما الشديد. فالصحية وحياة الانسان مفهومان متلازمان وهو ما أكدته الدراسة حيث أن قرابة خمس المستجوبين يؤيدون هذه العلاقة الارتباطية. فالبيئة النظيفة الخالية من التلوث شرط من شروط توفر الصحة. والتي بدونها لا قيمة لمحيط لا تتوفر فيه سلامة المرء ورفاهيته. فوجود محيط نظيف وبيئة سليمة تستمر الحياة وتتطور حياة المجتمع نحو الأفضل. وقد أشارت الدراسة الى كون معظم المستجوبين يبدون تخوفا وقلقا حول مدى تأثير التدهور البيئي على الصحة. وقد شدد الباحث على كون تمثلات المستجوبين ودرجة وعيهم حول الأسباب الحقيقية لتفشي الأمراض قد تطورت بشكل كبير مقارنة بالماضي. وحسب نظره لم يكن التلوث بالنسبة اليهم يمثل مصدر قلق. ولم يروا فيه انعكاسا خطيرا على صحتهم.

- الخاتمة:

نظرتنا الى سلوكيات الطفل المهاجر ليست وليدة فراغ بل هي اتجاهات ومواقف تتحدد انطلاقا من تمثلاتنا للآخر المختلف من جهة. وانطلاقا من تمثلاتنا لبيئتنا المحلية من جهة ثانية. فكلما انسجمت سلوكيات المهاجرين مع رؤيتنا وتصوراتنا لمحيطنا الا وتميزت العلاقة بضرر من التوافق. في حين أن هذه العلاقة قد تتحول الى علاقة عدائية إذا كان هناك التباين كبيرا بين نظرتنا ونظرة الاخرين للواقع المحلي. ويمثل سلوك المهاجر البيئي معطى مهما يعكس مدى فهم المهاجر لما هو مقبولا اجتماعيا. ويمثل تعبيرا عن درجة النجاح في الاندماج

والتأقلم. فالاشتغال على تغيير تمثلاتنا وتمثلات المهاجر أصبح ضرورة ملحة وحلا عمليا لتجنب سلوكيات محفوفة بالمخاطر تخلق فجوات عميقة قد تنتج أزمات مجتمعية تهدد حياة الأفراد. ويتجلى هنا الدور الأساسي الذي يمكن أن تلعبه بعض المواد التعليمية ذات البعد التكويني التثقيفي على غرار مادة التربية البيئية أو مادة التربية على المواطنة... في توعية الطفل المهاجر وأسرته وجعلهم قادرين على تعديل سلوكياتهم اليومية داخل بيئتهم المحلية. فمن خلال البرامج الأكاديمية التدريبية التثقيفية قد يتأثر الطفل المهاجر بهذه الحلقات التدريبية ويغير مواقفه واتجاهاته البيئية وينجح في التكيف الاجتماعي بشكل أسرع. ويكتسب في الان نفسه القدرة على التأثير في سلوكيات أسرته المهاجرة ومواقفها. بل وحتى المجتمع بدوره قد يستبطن هذه السلوكيات الايجابية ويثمنها ويتبناها كأنماط سلوكية مرجعية يمكن النسيج على منوالها. لننتقل من مقاربة دوركاديمية (نسبة الى عالم الاجتماع دزركايم) تعتبر المجتمع هو من يحدد سلوكيات الأفراد "حينما نتحدث فان المجتمع هو الذي يتحدث فينا " الى مقاربات معاصرة يكون للأفراد فيها عدة أدوار من بينها تعديل سلوكيات المجتمعات وفضح بعض الظواهر غير الصحية.

- قائمة المراجع والمصادر:

-المراجع باللغة العربية

بومدين، سليمان (٢٠٠٤). التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر، جامعة منتوري، قسطنطينة، الجزائر.

عبد مولا، رضا (٢٠١٢). البيئة، المواطن والمسألة البيئية وإسهامات العلوم الاجتماعية والإنسانية، تونس.

برنامج الأمم المتحدة للبيئة ٢٠٠٤، عبد مولا، ٢٠٠٨.

صامويل ليباز Samuel LEBAZ، جامعة روين، PSY-NCAFIACRE، فرنسا،

د.دلفين بي كار Delphine PICARD جامعة ايكس مرسيليا مركز البحث-PsyCle

PICARD، فرنسا .

بنعيسى (زغنوش)، جامعة سيدي بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهار فاس، مختبر العلوم المعرفية، فاس، المغرب.

بلقيس، أحمد مرعي توفيق، (١٩٨٣) الميسر في علم النفس التربوي، ط١.

دويدار، عبد الفتاح، (١٩٩٤). علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت ١

جابر عبد الحميد، جابر، الشيخ، سليمان الخضري، (١٩٧٨) دراسات نفسية في الشخصية العربية، الناشر عالم المعرفة، القاهرة.

عبد الله، عبد الغني (١٩٨٤). أصول علم الإدارة العامة، الدار الجامعية، بيروت،

شكري، أحمد & الحمادي، عبد الله محمد سيد، (١٩٩١). منهجية أسلوب تحليل المضمون وتطبيقاته في التربية، مركز البحوث التربوية، قطر، ط٢ .
صالح، ناجح (٢٠٠١). اتجاهات المعلمين إزاء تقييم عمل التلميذ ضمن برنامج الكفايات الأساسية، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في علوم التربية، وزارة التعليم العالي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
-المراجع باللغة الأجنبية:

Moscovici (S), des représentations collectives... Op. cit
Durkheim (E), (1991) Les formes élémentaires de la vie religieuse, Editions Livre de poche, Paris.
Moscovici (S), des représentations collectives... op cit,
Bloch (H) et autres, (1993) Grand dictionnaire de Psychologie, Larousse, Paris,
Jodelet (Denis), les représentations..., Op.cit.
Abric (J-C), (1994) Pratique Sociales Et Représentations, Presse Universitaires De France, Paris
Roussiau N., Bonardi C, (1999) Les représentations sociales. Paris, Dunod
Blanc N. et autres, (2006) Le concept de représentation en psychologie. Paris, In presse,
Fischer G. N, (2005) Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. 3em édition, Paris, Dunod
Laplantine Francois (1994). Anthropologies des systèmes des représentations de la maladie, in Jodelet. D, les représentations sociales, 4ème édition, PUF, Paris.
Aiiport, G W, (1954).The Nature of prejudice, Cambridg, Addison ,Wesiey
Bougardous (1931).Fundmental of Fsychoiogy ,2nd Edition and Grofts.
Chave, E.G, (1950). Anew Type Scale for Measuring A TtiTudes, N.Y., Appleton and Crafts